العنوان:	الكاريكاتير السياسي .. المضحك البكي !
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	مصطفى، حسام الدين
المجلد/العدد:	ع 54
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2011
الشهر:	مارس
الصفحات:	38 - 40
رقم MD:	389622
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	القضية الفلسطينية ، الرسوم الكاريكاتورية ، الأحوال السياسية ، النقد الفني ، العالم العربي ، وسائل الإعلام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/389622

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الكاريكاتير السياسي...
المضحك المبكي!!!

ارتبط فن الكاريكاتير بالسخرية، فهو فن ساخر من فنون الرسم، يقوم على تصوير الملامح، والخصائص الطبيعية للفرد بصورة هزلية، والهدف منه تقديم النقد، واستخدام التصوير كأداة تعبيرية عوضا عن الكلمات، وفي بعض الأحيان تضاف إلى صور الكاريكاتير بعض العبارات التي تزيد من عمق النقد، وتركز فكرته.

حسام الدين مصطفى

رئيس جمعية المترجمين واللغويين المصريين

فن الكاريكاتير بطبيعته فن نقدي يعبر عن وجهة نظر تجاه المجتمع في مختلف الميادين والمجالات

هناك تعريفات عديدة تناولت فن الكاريكاتير، فالبعض عرفه بأنه نوع من التجسيد المصور لملامح وجه، ويضخم في حجم المعلومات الدالة إدراكيا، في حين يقلل من شأن التفاصيل الأقل أهمية ويؤدي التحريف الناتج في الصورة إلى إشباع خاص لدى المتلقي فيما يخص ما هو فريد ومميز وجديد ومضحك فيها، وأنه شكل من أشكال الفن فيه تحريف للملامح المميزة لشخص معين بطريقة تؤدي إلى الضحك وبشكل آخر أنه ذلك التمثيل البصرى المضحك المتهكم الساخر المسخي لبعض الشخصيات.

يرجع أصل مصطلح الكاريكاتير إلى لفظة"caricare " الإيطالية، ومعناها "يبالغ" أو "يضخم الأمر" وأول ظهور لهذا المصطلح كان في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، إلا أن فن الكاريكاتير ذاته فن قديم ارتبط بالحضارة البشرية وثقافات الشعوب، وتشير كتب التاريخ أن أقدم آثار لهذا الفن كانت في مصر الفرعونية، ومن أقدم الصور التي تعبر عن فن الكاريكاتير صورة الذئب الذي يرعى الغنم، التي يرجع تاريخها إلى نحو ثلاثة آلاف عام مضت، أو صورة الحمار الذي يعزف الناي، ثم جاء من بعدهم الآشوريون واليونانيون، فاستخدموا هذا الفن في التهكم، والنقد، والسخرية، ومن بعد اليونانيين انتشر هذا الفن في أوروبا كلها، إذ إنه كان أحد الأسلحة التي استخدمت لنقد السلطة الدينية في الفاتيكان خصوصا مع بدايات القرن الثامن عشر.

لقد وفر فن الكاريكاتير أداة مهمة استخدامها الفنان لنقد الوضع السياسي، ويرى الكثيرون أن فن الكاريكاتير رغم اعتماده على التبسيط القائم على تغيير الملامح والسمات، وعدم التزامه بالصورة الحقيقة، إلا أنه يعتبر من أعقد أساليب التعبير الدبلوماسى، ويتخذ من المحتوى الضمني، والإشارة المضحكة أداتين، فتتناول أكثر الموضوعات حساسية بصورة

مبهجة، وتختصر الكثير من التعبير الكلامي، وتكثف الفكرة فتظهرها واضحة جلية، ويحمل رسالة مباشرة سريعة الوصول إلى عقل المتلقي، وتخلق لديه حالة ذهنية يقارن فيها هذا المتلقي بين الواقع والمعنى الذي يرمي إليه الفنان.

إن فن الكاريكاتير بطبيعته فن نقدي يعبر عن وجهة نظر تجاه المجتمع في مختلف الميادين والمجالات، وإذا غابت عن الكاريكاتير وظيفة النقد، فإنه يتحول إلى مجرد رسم هزلي، ففن الكاريكاتير ليس " طرفة مصورة" يقصد بها الإضحاك، بل هو أداة فنية ناقدة يمكن للفنان من خلالها أن يدعم إيجابيات المجتمع، ويفضح سلبياته، ويأتي ذلك في إطار كوميدي هازئ، فيه مبالغة تخدم المعنى، وفيه تبسيط ينقل الفكرة بصورة مباشرة سريعة، وبصورة تعتمد على مبدأ "خير الكلام ما قل ودل".

يلعب الكاريكاتير دورا تنويريا بارزا، وله ارتباط وثيق بقضايا الأمة، ومن أبرز القضايا التي عني بها فن الكاريكاتير في عالمنا العربي قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وقضية فلسطين، فحتى تلك القضايا المصيرية الخطرة، استطاع فنانو الكاريكاتير أن يتناولونها بجدية وعمق، واستطاعت ريشتهم الهازئة أن تستخرج الزفرات، وآهات الحسرة، وتؤجج المشاعر، وتحيي الهمم، وهناك كثير من فناني الكاريكاتير العرب الذين تناولوا هذه القضايا لعل أبرزهم ناجي العلي، وصلاح جاهين، وأمية جحا.

بقدر ما لفن الكاريكاتير من تأثير على الجماهير، يخضع هذا الفن العظيم التأثير للرقابة، سواء تمثل ذلك في سياسات الدولة العامة، وقدر ما تتيحه من حرية التعبير عن الرأي، أو من خلال السياسات الداخلية التي تتبعها المؤسسات التي تقوم بنشر هذه الأعمال، وهذا يرتبط بتوجه جهة النشر، ومنهجها وميولها الثقافية والاجتماعية والسياسية، لكن هذه القيود المفروضة على فن الكاريكاتير هي التي تحدد نموه وتطوره، وهي في الوقت ذاته تعكس حجم الحريات الممنوحة للفنان. وبرغم قوة الرسالة التي يحملها العمل الكاريكاتيري إلا أن قدرته على إحداث التغير المجتمعي تظل مشمولة بحجم تأثر الطبقة المتلقية ومدى وعيها، وهناك الكثير من أنظمة الحكم التي تنظر إلى رسالة فن الكاريكاتير الناقد لأدائها على أنه مجرد نافذة للتنفيس عن الضغوط التي يمر بها المواطن، وتترك لذلك مساحات واسعة قد تبدو في ظاهرها مجالات واسعة لحرية التعبير عن الرأي.

غالبا ما تتصف العلاقة بين السياسة والكاريكاتير السياسي بأنها علاقة عداء، خصوصا وأن الكاريكاتير السياسي يلعب في كثير من الأحيان دور "الناقض" لغزل الساسة، فبينما نجد أن السياسي يستغرق زمنا ليمهد لسياسة معينة، أو يضعها في حيز التنفيذ يأتي رسام الكاريكاتير السياسي ليسلط الضوء على بقعة معينة فيهدم له ما بناه؛ لكن ذلك لم يمنع من وجود ساسة محنكين كانوا يعرفون كيف يطوعون الانتقادات الكاريكاتيرية الموجهة لهم، فتارة يستخدمونها كمؤشرات وقياسات للرأي العام، وتارة تنفرج أساريرهم عن ضحكات يحاولون من خلالها الامتزاج مع من يسوسونهم.

يعود أول ظهور للكاريكاتير السياسي العربي لما كانت تنشره مجلة " اللطائف المصورة" عام 1915م، وكانت تعتمد على نشر رسومات كاريكاتورية أجنبية يتم شرح العبارات المتضمنة فيها باللغة العربية، ومن أهم ما يقال عن تلك الفترة أن الكاريكاتير كان أداة سياسية مهمة في الصراع مع الاستعمار ومقاومته، ويذكر تاريخ فن الكاريكاتير العربي أنه تأسس على يد "محمد عبد المنعم رخا" المولود بمصر عام 1910م، الذي بدأ مشواره الفني في مجال رسم الكاريكاتير في مرحلة مبكرة في

صباه حتى امتهنه عام 1926م، وكان أول عربي تنشر أعماله الكاريكاتيرية في هذه الفترة التي لم يكن معروفا فيها سوى رسامي الكاريكاتير الأجانب، الذين كان أشهرهم "سانتوس" الإسباني، و " صاروخان" الأرميني، و " رفقي" التركي.

كان محمد رخا أول رسام كاريكاتير عربي يدخل السجن بسبب رسوماته، وذلك حين وجه له البلاط الخديوي المصري تهمة العيب في الذات الملكية، بعد أن نشر رسوما كاريكاتيرية تنتقد الملك فؤاد في مجلة كانت تصدر وقتها اسمها " المشهور"، ويذكر لمحمد رخا أنه كان الرائد الأول للكاريكاتير السياسي في الوطن العربي، وأنه ابتكر شخصيات كاريكاتيرية استعان بها في توصيل رسالته من أشهرها شخصية "حمار أفندي" الذي استخدمه كرمز للشخصية السلبية التي تؤيد كل توجهات الحكومة، هذا إضافة إلى شخصياته الأخرى التي انتقد بها الأوضاع السياسية في تلك الفترة، مثل شخصيات "غني الحرب"، و"سكران باشا" و"ابن البلد"، "رفيعة هانم". ثم انتشرت رسوماته في جريدة "أخبار اليوم"، وعلى يديه تتلمذ الكثيرون من رواد فن الكاريكاتير السياسي، أمثال فارس قرة بيت وسيد خميس، وخالد أبو خالد، ومحمد نور ويوسف عبدلكي، وعلي فرزات، ومصطفى حسين، وجورج بهجوري، والعربي الصبان، وناجي العلي، وعبد الهادي الشماع، وهم أولئك الذين أسسوا جماعة "رسامي الكاريكاتير العرب من المحيط إلى الخليج" وتوفي عام 1989م بعد أن أسس لفن متميز من فنون الكاريكاتير في عالمنا العربي هو فن الكاريكاتير السياسي.

إن أكثر ما يميز رسام الكاريكاتير السياسي هو جرأته التي قد لا يستطيع مجاراتها الكثير من أهل الكتابة أو القول، ولعل هذا هو السبب في أن الكثير منهم أمضى بعض حياته في السجن، أو لقي حتفه اغتيالا كما حدث مع الرسام الفلسطيني ناجي العلي الذي اغتاله الموساد الإسرائيلي في لندن عام 1987م.

تتجلى أهمية فن الكاريكاتير السياسي في أنه سلاح إعلامي له تأثير جماهيري واسع، وقد كانت القضية الفلسطينية واحدة من الميادين التي برز فيها دور هذا الفن، واستخدامه الفنانون العرب كأداة فعالة مؤثرة استطاعوا من خلالها أن ينقلوا للعالم نبض هذه القضية، ومن بين الأسماء المميزة في تناول قضايا الأمة العربية اسم الفنانة الفلسطينية "أمية جحا"، التي استطاعت أن تصنع لنفسها مكانة مميزة كأول رسامة عربية للكاريكاتير السياسي. إن الكاريكاتير السياسي كان وما زال أداة مهمة من أدوات الفن التي تسعى إلى إحداث تغيير في المجتمع، خصوصا فيما يتعلق بمجال السياسة، وأبطاله هم الساسة والشعوب التي تخضع لسياستهم، لذلك نجده غالبا ما يوصف بأنه الفن المضحك المبكي.